وليست ردود الفعل الفورية التي ظهرت لدى بعض المنظمات اثر البالون الذي اطلقه باريف ونفذه بعد ٢٤ ساعة رئيسه اسحق رابين الا الدليل على التربص القائم بين الفصائل والحرص في تسجيل المواقف على بعضها البعض .

واسرائيل في صلب تحركاتها ، كما كانت في الماضي ، لا تزال اليوم تعتبر أن أهم اوراقها في العابها السياسية تكمن في الخلاف العربي والانقسام الفلسطيني ، وهي تسعى لذلك لتعميق هذه الخلافات وتكريس هذا الانقسام .

وقد لاحظنا جميعا السرعة التي استوعبت فيها اسرائيل عبرة حرب تشرين ، فبادرت على الفور لاستثمار تلك العبرة لصالحها ، اذ أصرت ولا تزال على التعامل مع العرب كوحدات مستقلة وليست كمجموعة واحدة، وبطريقة معاكسة تماما لبرامجها العسكرية والتعبوية التي تخطط على أساس ان العرب كل العرب ضدها في الحرب . فكان فك الارتباط مع مصر أولا ، ثم تلاه مع سوريا ، وتجري الان مساعيها للفك مع الاردن . وهي تطمح — ولا تخفي ذلك — الى الاستمرار في هذا المنهج وصولا الى تحقيق اتفاقات ثنائية يكون من شأنها تكريس التجزئة العربية وتصعيد التناقضات بين الاقطار العربية المعنية من جهة، وبين هذه الاقطار ومجموع الاقطار والقوى العربية السياسية الاخرى.

كذلك لقد لاحظنا ان اسرائيل تحاول استثمار الوضع عن طريق تأكيد اهمية وجودها في المنطقة للعملاقين على حد سواء . ورغم حقيقة الامور ووعينا لاحجامها وخفاياها فان اسرائيل تستطيع ان تباهي بالزعم بأن لها الفضل وحدها في فسخ العلاقات العربية السوفياتية أو على الاقل في تقليصها ، كما تستطيع ايضا أن تزعم بأنه لولاها لما أعاد العرب نظرتهم في الولايات المتحدة وعادوا الى التفكير في فتح الابواب لها .

اما في الدائرة الفلسطينية فلا تزال اسرائيل تلعب ورقة النظام الاردني في الدرجة الاولى ، يلي ذلك ورقة الفلسطينيين من خارج الحركة الثورية ثانيا ، وتصر ثالثا على عدم الاعتراف بشعب فلسطين وحقه في اقامة اي كيان مستقل له على جانبها معتبرة ذلك لغما موقوتا لا تسمح بزرعه .

من هذه اللمحة السريعة علينا ان نقرر ، دون ان نستبق الحوادث والمفاجآت ، ان الطرفين العربي والاسرائيلي يحاول كل منهما أن ينتهي بالمسيرة السياسية الراهنة للوصول الى « محطة » على طريق الصراع الذي لا حل له الا — كما أشرنا — بنصر استراتيجي يفرض شروطه ، آخذا بعين الاعتبار أهمية هذه « المحطة » على مستقبل الطريق .

وهنا فان الطرفين امام مأزق بالفعل ، وهوية « المحطة » المنشودة لا تزال لدى الطرفين موضع شبهات ومبعث قلق ، وقد يجدان في النهاية ان تعليق الوضع دون أي التزام قانوني أو سياسي بخريطة جديدة هو الاضمن والاسلم ، لكل منهما ، بالنسبة الى نواياه المستقبلية وقناعاته المشتركة .

ولكن المشكلة الصعبة ، والتي ستكون من مصادر الالم في مثل هذه الحالة، ستواجه المقاومة الفلسطينية والشعب الفلسطيني بشكل خاص . فأسرائيل ، ودول المجابهة بحكم كونها دولا تستطيع الصمود مدى أوسع من حركة المقاومة وشعب فلسطين ، هي دول قائمة ولها مشاكل معلقة ، ككل دول العالم ، بينما حركة المقاومة لا تستطيع أن تحيا وتنمو في ظلال الجمود السياسي والعسكري .

ولذلك فانه من أهم ما على حركة المقاومة تأكيده في هذه المرحلة هو أن تواصل احداث الخلل في امكانية انهاء حالة الحرب مع العدو .